الصوت رافدا إقناعيا قراءة في سورة التّكاثر

أ.م.د. عمار نعمة نغيمش

كلية التربية / جامعة القادسية

تسليم البحث: ٢٠١٦/١١/١٣ قبول النشر: ٢٠١٧/٣/١٤

الخلاصة

هذا البحث محاولة أردت منها أن أبين أثر الصوت في إقناع المتلقي، وقد اتخذت من سورة التكاثر مصداقا لذلك، والمعروف أنّها سورة مكية ، والسور المكية في معظمها اعتمدت إيقاعا خاصا بلحاظ ما فيها من الأصوات التي تلفت انتباه المتلقي إلى ما في هذه السورة من معان ، فقد ألّفت نظاما إقناعيا يهدف إلى شد المتلقي إلى هذه المعان ، ابتداء من تركز السورة في بدايتها على صوت الراء بوصفه باعثا إقناعيا لما يحمله من صفات جعلته ينبه الإنسان على ما في هذه السورة من عبر ، ومن ثّم أنّ فواصل السورة الأخرى تغيرت بتغير المضامين ، وكأنّ بداية السورة جاءت من غير مقدمة لتعطي القارئ نتيجة غير مطولة .

أما فواصل السورة الأخرى فقد تغيرت بلحاظ ما في السورة من تهديد وعبر ، وهذه الفواصل مجتمعة من بداية السورة إلى نهايتها تتميز بالإيقاع القوي الذي يثير انتباه المتلقي .

المقدمة

سورة التكاثر من السور المكية التي تميزت بقصر آياتها وتركيزها على عدم التعلق بالحياة الزائفة ، لذا بنيت هذه السورة على مهيمنات صوتية لها أثرها في القارئ ، ولاسيما أنّ العرب اعتمدوا المشافهة ، لأنّهم كثيرا ما يتأثرون بقيمة الصوت، وهذه الأسباب جعلتني أدرس الصوت بوصفه ذا حضور إقناعي يشد انتباه القارئ إلى ما في هذه السورة من معان ، فعنون البحث بـــ (الصوت رافدا إقناعيا قراءة في سورة التّكاثر) .

قسم البحث على مبحثين سبقتهما مقدمة ، وتوطئة ، إذ درست في التوطئة ما قيل عن هذه السورة من تسميات وغيرها ، يزاد على ما قيل عن صوتية الكلام، وأثر المشافهة فيه .

وقد درست في المبحث الأول الفاصلة وعلاقتها في الفونيم فوق التركيبيّ ، في حين درست في المبحث الثاني التكرار وأثره في الفونيم فوق التركيبيّ ، وأعقبتهما حصيلة البحث ، ومن ثّم قائمة المصادر والمراجع

وأرجو أن ينال هذا البحث حسن الظن عند القارئ ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

التّمهيد : قوة الصوت الإنجازية.

المعروف عن سورة (التّكاثر) أنّها مكية ، وآياتها : ثمان ، وكلماتها : ثمانية وعشرون ، وحروفها : مئة وعشرون ، وسميت بالتكاثر ، لأنّها افتتحت بهذه الكلمة[١] ، وهي سورة مكية في قول المفسرين ، في حين ورد عن البخاريّ أنّها مدنية[٢] ، ولهذه السورة عدة تسميات ، وهي :(التّكاثر) ، والمقبرة[٣] ، وقد سميت بسورة (ألهاكم)[٤] .

أما هدفها فهو ذم المقبلين على الدنيا ، والمفتخرين بالمال وتوبيخهم ، وبيان العاقبة بالموت والزوال ، وأنّ نصيب الغافلين هو العقوبة والنكال ، وأنّه – جل و عز – أعد للمشمولين المذلة ، والسؤال ، والحساب ، والوبال[٥] .

وهذه السورة هي إكمال لما ذكر في سورة (القارعة) ، لأنّ السورة الأخيرة قسمت الناس على قسمين ، السعيد والشقيّ، فاختتمت بالأخير، فافتتحت هذه السورة بعلة العذاب ، والحشر لتذكّر السامع بهذا المبدأ[٦]

لقد عني العرب بصوتية الكلام ؛ لأنّهم لم يكونوا أهل كتابة ، وقراءة بل كانوا أهل سماع وإنشاد ، وظلت هذه الخاصية بارزة حتى في الشعر العربي[٧] .

فقد اعتمدوا على مسامعهم في الحكم على النص اللغوي ، مما جعلها تميز بين الفروق الصوتية ،مما جعلها تميز الكلام الحسن ، ووقعه[٨] .

ومن هنا يعد الصوت رافدا من روافد الإقناع من جهة وقعه على النفوس ، وامتلاك الأنغام للإسماع ، وما كان أملك للسمع كان أفعل باللب والنفس[٩] ؛ لأنّه يحقق تأثيرا في المتلقي بما يؤديه من دور مهم ، وهو توظيف التكافؤ في البنية الخارجية ، فهو رافد مساعد في إنجاز عملية الإقناع[١٠]

والمعروف عن العرب أنّهم كانوا يمنحون الصنعة الصوتية دورا بارزا في إنجاز الخطاب وتحقيق مهمته في التأثير والإقناع ، فكان الخطاب القرآني والشعري يخضعان لنوع من الصياغة الصوتية ، وهو نظام قائم على تناغم قائم بين الحركة الموزونة التي تطبع المادة الصوتية ، والحركة الانفعالية التي تستثار .

يزاد على أنّه نظام يعبر كل أجناس الخطاب ، فقد كان للصوت مكانة خاصة في أداء الخطاب وإنجازه ، وهو ما يفرض العناية بما يسمى القوة الإنجازية للصوت[١١] .

إنّ العربي قد منح بعض عنايته للخطاب الأدبي والشفوي ، وأولى الوظيفة الشعرية للصوت ، وعندها يدرك الدور الحساس ، والمعقد الذي يؤديه الصوت في الإقناع ، والتأثير، وهذا يعني أنّ للصوت سلطة خفية قد تكون أحيانا أنجح وأقوى من سلطة الحجج والمضامين[١٢] .

المبحث الأول : الفاصلة وعلاقتها في الفونيم فوق التركيبي (صوتا المد)

من المعلوم في الدرس اللغوي أنّ الفواصل لها علاقة بإفهام المعاني، فهي تكمل معنى الآية حتى يظهر المعنى المراد منها .[١٣].

لذا جاء القرآن الكريم بهذه الفواصل ليعجز العرب الذين برعوا في تزيين الكلام ، وتوشيح العبارات بالكلمات المتماثلة في النطق المؤدي للمعاني ، ذلك أنّهم وجدوا في هذه الفواصل ما يبهر الأسماع ، ويأخذ بمجاميع القلوب فتتعاقد – عن بلوغ معانيه– قرائحهم[١٤] .

ومن مزايا هذا النوع البديعي أنّ له تأثيرا في النفوس، بما يحدثه من النّغمة المؤثرة ، و القوية التي تطرب لها الأذن ، فتقبل على السماع من غير أن يدخلها ملل ، فيتمكن المعنى في الذهن، وهذه التأثيرات تجعل منه يحمل قوة تأثيرية بما يحدثه من أجراس متناغمة في الأداء من أجل استمالة المتلقي ، ودفعه إلى تعديل موقفه وسلوكه[١٥] .

والحق أنّ القارئ يجد – في سورة التكاثر – من الفواصل التي تلفت القارئ أو السامع إليها ، ونجد فيها ما يسمى بالإصاتة ، أي : تكرار الحروف في الدوال[١٦]

وأبدأ بذكر أنواع الفواصل في هذه السورة الكريمة :

الفاصلة المتوازنة : ويراعى فيها مقاطع كلام الوزن فقط ، أو ما اتفق فيه الفواصل وزنا دون القافية[١٧] ، وهذا النوع من أكثر الأنواع ورودا في القرآن الكريم ، إذ يؤلف التوازن قانونا إيقاعيا[١٨] .

وذكر بعضهم أنه لا يخرج عند قانون التكرار ، إذ يتكرر فيه لون واحد على مستوى القرائن ، نحو :

مجيد

عجيب

جميلا

بعيدا

ويلاحظ أنّ القرينتين الأخيرتين متوازنتان في التقطيع المقطعي ، وليس في الوزن الصرفي ، وبذلك تكون الفواصل قريبة من التفاعيل .[١٩]

وعند النظر إلى الفاصلة الموازنة في هذه السورة ، فإنّ القارئ يجدها قد وردت في عدد من المواضع ، وهي :

(التَّكَاثُر) (١) (المَقَابِر)(٢)

(اليَقِين) (٢) (الْجَحِيم) (٦)

(اليَقِين) (٧) (النَّعِيم) (٨)

واضح أنّ الفاصلتين ، الأولى والثانية ، قد انتهى كل منهما بصوت الراء ، والمعروف عن هذا الصوت أنّه حرف شديد مكرر[٢٠] ، و اللسان يرتعد به[٢١] .

ولما كان هذا الارتعاد في صوت الراء ، فمن الطبيعي أن نقول : إنّ لهذا الصوت وظيفة إقناعية لها أثرها في المتلقي ، إذ أشار في الكلمة الأولى إلى تعلق الإنسان بالحياة.

وكذلك الحال نفسها في كلمة (المقابر) ، فالراء فيها أثر واضح ، وهو الإنذار والتنبيه للمتلقي كي ينتبه على ما في العالم الآخر.

ويبدو أنّ تكرار هذا الصوت إنما هو وسيلة إقناعية لتجسيم الموقف ، وذلك لما تتميز به بعض الالفاظ من خصائص صوتية ، وما تضيفه بجرسها الصوتي مما يسهم في إبراز المعنى المراد[٢٢]

وهذا ما تحقق في صوت الراء الذي أشار إلى الوعيد والذي ينتظر الإنسان ، إذ جاء في بداية السورة ، أي : أنّكم اشتغلتم بالمفاخرة في الدنيا ، فترون ما ينزل بكم من العذاب[٢٣]

ويذكر أنّ الراء عندما ينطق بها تخرج مضاعفة ، والوقف يزيدها إيضاحا

واضح أنّ الوقف – هنا – له أثر في هذا الإيضاح ، ولعل هنا سمة لها أثرها في الخطاب ، وهي أنّ الفاصلتين جاءتا قصيرتين ومتساويتين ، وهذا يعد من أفضل أنواع الفواصل[٢٤] ، وهاتان الفاصلتان القصيرتان تنقلان أو تترجمان لنا هذه الانتقالة القصيرة بين الحياة الدنيا والحياة الأخرى ، يزاد على ذلك أنّ لها أثرا في هذه البداية المفاجئة التي ابتدأت بها السورة ، إنّ عتبة النص تشير إلى أنّ العنصر المهم هو التكاثر بما يحمله من معان.

ويبدو أنّ هاتين الفاصلتين تدعوان إلى نقل الانفعال إلى المتلقي ، أو أنّهما تنقلان رسالة إلى المتلقي بما فيهما من معان ، وبما فيهما من إيقاع قوي يشد المتلقي إلى هذه المعاني .

وجاء هذا من التكرار الحاصل في الفاصلتين ، ولهذا التكرار غاية حجاجية تسهم في زيادة حضور الفكرة عند القارئ، ومن ثّم قبول الفكرة والاقتناع بها .

لذا استثمره الخطاب المكي ، ولا سيما في هذه السورة للتأثير ، لأنّ التكرار إنّما هو إقرار للكلام[٢٥] .

لذا قيل إنّ هذا النوع من الفواصل يؤلف قانونا إيقاعيا[٢٦] وهو ما سماه البايبيّ بالتكرار ، وهو أنسب على رأيه ، لأنّ التكرار الحاصل في البنيتين جاء لهدف إيقاعي وتأثيري[٢٧] .

وذهب بعض المحدثين إلى أنّ ثمة مزاوجة في الكلام ، وبعبارة أخرى إنّ التعبير القرآني آثر جمعا على جمع ، فاستعمل (المقابر) بدلا من (القبور) ؛ لأنّ الإيقاع لا يتحقق لو استعملت لفظة القبور ، ولكنّه تحقق بلفظة المقابر بلحاظ المزاوجة الحاصلة قبلها في (التكاثر)[٢٨] .

في حين أنّ لفظة المقابر هنا اسم مكان ، فالقبر لا يدل على مجموعة القبور ، أما المقبرة فإنّها تضم قبورا ، ومكانها – هنا – حقيقي ، فلا مزاوجة في الكلام ، فهي مقابر لا مقبرة واحدة حتى تحصل المزاوجة .

- الفاصلة المتوازية : وعرفت على أنّها اتفاق الكلمتين وزنا وتقفية[٢٩] ، وتتسم السور المكية عامة بوجود هذه الفواصل ، ومنها هذه السورة ، وهذا النوع يحمل توافقا صوتيا بتكرار الصوت الأخير ، وهذا التّكرار يؤدي إلى ثراء التعبير بهذا الوقع الصوتي المحبب الذي تتهيأ له النفس[٣٠] .

وقد ورد هذا النوع في كلمتي :

(تَعْلَمُون)[٣] (تَعْلَمُون)[٤].

ويتبين أنّ هذا الأثر الإيقاعي له أثر إقناعي بتكرار تلك الكلمتين ، ذلك أنّ اللفظ المكرر يوحي بالاهتمام الخاص بمدلوله ، لأنّ له دورا مؤثرا في التأثير والإيقاع .

فله قوة في سبك المعنى وتوكيده ؛ لأنّ له طاقة مضافة تحدث أثرا جليلا في المتلقي ، ومن ثّم تساعد في إقناعه أو حمله على الإذعان[٣١] .

وهذا الترديد الذي ينشأ في الخطاب يزيد في حضور الفكرة مما يؤدي إلى قبولها ، والاقتناع بها[٣٢] ، ولعل مجيء الواو والنون في هاتين الكلمتين يسهم في الإشارة وشدّ الانتباه ، لأنّ صوت المد له وظيفته في الخطاب القرآني ، وهذا التشكيل الصوتي المتألف بـــ (و– ن) قد جيئ – على ما يبدو – ليخاطب العقول ، وحتى لا يدع مجالا لشهواتهم وآمالهم الكبيرة أن تسيطر عليهم ، ولابد من أن أعرج على أصوات المد في السورة الكريمة قبل أن أذكر علاقة أصوات المد بالفاصلة .

إذ تعد أصوات المد من أكثر الأصوات تأثيرا في إثارة المتلقي لما تتميز به – في المسار الإيقاعي – من خصائص تجعلها توقع تأثيرات نفسية أشبه بما يحدثه اللحن الموسيقي[٣٣] ، لأنّه امتداد اللفظ بالصوت ، وهو إطالة في النطق ، وهذه الإطالة هي المهمة في قيمة العبارة القرآنية ، مما يجعل القارئ يقف على الأثر الكامن وراء ذلك الكلام[٣٤] .

وقد جاءت هذه الأصوات في مواضع متعددة ، ابتداء بالآية الأولى وانتهاء بالآية الثامنة.

لا جدال أنّ تكرار الألف في بداية الآيتين ، الأولى والثانية ، له أثر إيقاعي ؛ إذ إنّه يعطي دلالة الشمول ، وجاء هذا من امتدادها الزمني ، وطول مدتها، واتساعها في المخرج[٣٥] .

لذا تميزت الألف بالحرية في طريقة إنتاجها ، وهذا الطول الذي تميزت به يؤدي إلى التأثير في المتلقي بسبب وضوحها السمعي ، لأنّها من أكثر الفونيمات القابلة للتمدد والإطالة .

ويبدو أنّ مجيئ الألف في بداية السورة جاء ليصور ذلك التباهي أو التباري عن طاعة الله .

وهو – هنا – إشارة إلى الاشتغال بالدنيا ، والتكاثر في الأموال ، والعدد ، والتّفاخر بكثرة المناقب[٣٦] ، فصرفهم ذلك إلى اللهو، فأغفلهم عمّا أمامهم من الآخرة[٣٧] .

لذا جاء صوت المد ليصور تلك الحالة التي فيها القوم من التّباهي والتّفاخر ، بل صور – أيضا – تماديهم ، وتعلقهم بالدنيا بلحاظ المد الحاصل في لفظة التكاثر ، وهذا الطول جاء ليقنع القارئ بتعلق القوم آنذاك بهذه الدنيا .

وكذلك جاء في كلمة (المقابر) ، أي : بالموت ، والدفن ، أي : حتى صرتم من اهل المقابر ، ولم تقدموا عملا صالحا[٣٨] ، ويدل هذا على طول المكث في المقابر بما عملوا من أعمال .

ويبدو أنّ هذين المقطعين جاءا لإبراز خصصية التكاثر ، وترك التفكير فيه ، فجاءت هاتان الآيتان تحملان صوت الألف ، وكان هذا التوزيع يحيل إلى طولهما النسبي ، فيمكن المخاطب أو المتلقي ، ويحيله إلى التأمل في هاتين الكلمتين.

و المقام هو مقام إلقاء حجة ، فجاء هذا الصوت مناسبا لمفتتح السورة الكريمة ، إذ افتتحت عتبتها بالشقاء والغفلة ، وهو بدوره جاء لينبه الإنسان ، فواءم بداية السورة ، إذ كانت الحجة ليست بطويلة، فليس هناك حاجة إلى الطول في بسط الحجة لإقناع المتلقي أو الجمهور بذلك .

وقد تغير صوت المد في الآيات الأخرى، إذ هيمن صوتا الواو والياء ، وهو الآتي:

(تَعْلَمُون)[٣] ، (تَعْلَمُون) [٤] ، (يَقِين)[٥] ،(جَحِيم)[٦] ، (يَقِين)[٧] ، (نعِيم) [٨] .

واضح أنّ الكثافة الصوتية لهذين الصوتين قد ازدادت في هذه الآيات ، ويستشف من ذلك أنّ هدف هذه الكثافة هو إلقاء الحجة على المتلقي ، مما جعلهما يكثران في هذه الآيات حتى يجعلا المتلقي يتأمل ما في هذه الكلمات من معان ، ويخيل إليّ أنّهما وردا لتأكيد هذه المعاني المذكورة في السورة وتثبيتها .

وسبق أن ذكر في البحث أنّ فواصل هذه الآيات قد انتهت بالواو والنون أو بالياء والميم .

وهذه الثنائية – على ما يبدو – جاءت لتخاطب العقول حتى يقتنع القارئ بما فيها من معان، ولكي لا تدع مجالا للشك بما فيه من علو ، واستعلاء ، وطول مدة الاستغراق عند النطق به ساعد في إيضاح هذه المعاني ، لذلك انتبه المتقدمون إلى أنّ النصوص القرآنية تختم آياتها بالنون مسبوقة بصوت المد ، لما فيه من غنة ، وأنّ آخر الكلمة موضع وقف ،فيقدم صوت المد قبل الحرف الأخير ،حتى يخفف من تلك الغنة [٣٩] .

ويستنتج من ذلك أنّ الوضوح السمعي الصوتي المد كان ذا حضور فاعل في هذه الآيات بلحاظ التشابه بين صوتي الواو والياء ، فهي تصل إلى الأسماع مؤثرة فيها تأثيرا تلقائيا في الوضوح والصفاء .

يزاد على أنّها تؤثر في المتلقي ، وتوقظ الحواس عنده على معان لم يكن ليدركها إلا من إيقاع هذه الحروف .

فقد اجتمع كل من الواو والياء مع صوتي الميم والنون في هذا التشكيل ، لما في النون والميم من وقع نغمي ، ووضوح سمعي ، وتردد عالي، إذ يعدان من أطول الصوامت في العربية [٤٠] .

إن تغير الإيقاع من الراء إلى النون فالميم تمحض عنه تغيير في دلالة الخطاب ، وهذا الإيقاع – في الآيات الأخرى – بقي واحدا.

وهذا الثبات في الفاصلة أو الإيقاع هدفه على ما يبدو التأكيد ، والتقرير ، والوعيد على ما يفعله الإنسان عندما ينسى الآخرة .

وهذا التبادل جاء ليقرع الآذان ، إذ إنّه يلفت القارئ ، لأنّ هذه الأصوات مجتمعة تهدف إلى تنبيه المتلقي وتحذيره .

لا مشاحة أنّ الحروف التي انتهت بها السورة في فواصلها تميزت بالوضوح السمعي العالي ، وهذه الأصوات هي صوامت تتميز بحزم صوتية، وقوة اسماع عالية ، فيمكنها أن تكون مقطعا بمفردها ، لذا تعد من أوضح الأصوات الصامتة وأطولها مدى بعد المصوتات ، وبذلك تكون معضّدة للبنية الدلالية للنص[٤١] ، مما حقق إنجازا صوتيا تقوى به الدلالة مما له أثر في فاعلية النص وتقوية الاثر .

ولو ذهبنا إلى المقاطع التي تألفت منها هذه الفواصل لوجدناها تنحصر في مقطعين ، هما : المقطع الطويل المغلق ، والمديد ، إذ ورد المقطع المغلق في فاصلتي الآيتين الأوليتين .

أما المقطع المديد فقد تكرر في الفواصل الأخرى ، وهو من المقاطع الثقيلة في العربية.

لاشك أنّ البنية المقطعية لهذين المقطعين ترفد البنية الصوتية للآية بإيقاع هادر شديد الوقع مناسب لجو السورة الكريمة ، ومجئ المقطع المديد بكثرة في هذه السورة يؤكد قضية ، أو ينقل للقارئ شيئاً ، وهو أنّ التّكاثر قد غرس في نفوسكم ، فنسيتم الآخرة ، ثمّ جاء هذا التهديد والوعيد بعد ذكر الفاصلتين الأولى والثانية ، فورد المقطع المديد في نهايات الفواصل ليؤكد هذا، فأوحى – هنا – بطول العذاب وشدته ، لأنّه يتطلب مدة زمنية طويلة ، فناسب جو السورة وتقرير معانيها ، فهي تجمع مفاهيم ذات أهمية كبيرة .

لا جرم أنّ موقع الصوت من الكلمة في حال الوقف يجعل منه أطول وأقوى منه عندما يقع موقعا استهلاليا أو وسطا ، فالميم الوقعة في كلمة الجحيم تختلف عن الميم التي تقع في بداية الكلمة أو وسطها ، وهذه الأسباب مجتمعة تؤدي إلى التأثير في المتلقي ، وتحمله على الإذعان .

المبحث الثاني : التكرار وأثره في الفونيم فوق التركيبي التنغيم مثالا

يبحث التكرار في الدراسات اللسانية في المستوى الصوتي لما له من وقع صوتي في الآذان ؛ لأنّه يعد مركز الإيقاع ، في حين أنّ له دورا مؤثرا في التأثير والإقناع ،فله قوة في سبك المعنى وتوكيده[٤٢] ، و أنّ له حضورا في النصوص الكتابية والشفاهية لما له من دور في تثبيت المعاني في الذهن عن طريق استحواذ هذه الفكرة أو تلك على ذهن المتلقي وجعلها راسخة في ذاكرته حتى يتأثر بها[٤٣] ، ويعد التكرار اللفظي رافدا مهما يرفد البراهين والحجج التي تخدم اطروحة ما في أي خطاب[٤٤] .

وقد استثمره الخطاب القرآني – ولاسيما المكي – حتى يؤثر في المتلقي ، وسأدرس – هنا – التنغيم لما له دور في التكرار في السورة ، ويتكون بالأداء بارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام للدلالة على المعاني التي تحصل في الجملة الواحدة[٤٥] ، وهذا التغيير الحاصل في مستوى الصوت إنما هو للدلالة على أمر يتطلّبه المعنى المراد منه السياق اللغوي .

إذ يستعان بهذا التغيير في التفريق بين الجمل ، والإبلاغ عن موقف ما كأن يكون سخرية أو حدة أو غضبا أو تهديدا أو غيرها ، ولما كان المتن القرآني كتاب مواعظ ، وعبر ، وإقناع ، فقد تضمن الابلاغ عن هذه المواقف عن طريق توظيف التنغيم* .

وقد ورد التنغيم بالأداة (كلا) التي وردت في ثلاثة مواضع من السورة الكريمة في الآية الثالثة والرابعة والخامسة ، وتدل هذه الأداة على الزجر ، والردع ، فإن قال قائل : اقتل زيدا قلت له : كلا ، أي: ارتدع عنه وازدجر[٤٦] .

وهي في – النص – أداة تخويف وتحذير ،تنذر الإنسان وتحذره من التعلق بالحياة ، فلا يهتم بدينه[٤٧] .

وهي – هنا – تحذير حتى يقتنع القارئ بما يحصل له إن ترك الآخرة ، والنغمة هنا صاعدة بلحاظ الزجر ، والتنبيه الذي تحمله (كلا) .

وقيل : إنّ لتكرار (كلا) في المواضع الثلاثة أقوالا هي : الزجر عن التكاثر، فيبتدأ بما بعده[٤٨] أو إنّه شبيه بالقسم ، على معنى: حقا[٤٩] .

والأخير : إنّه وعيد لهم ، والتكرار في النص الكريم جاء توكيدا[٥٠] ، وهو وعيد وتهديد لهم من الله لهم ، وفيه تأكيد على القول بعذاب القبر ؛ لأنّ الله أخبر عن ماذا يحل بهم غدا ، أي : إذا ماتوا[٥١] .

واضح أنّ الوقف – هنا – يدل أنّ مجيء (كلا) نتيجة لكلام سابق ، أو زجر لتصور سابق، وجملة سوف تعلمون إنّما هي استئناف للزجر ، والاستئناف فاصلة بينها وبين الجمل التي بعد كلا ، فهي فحوى لكلا ، أي : كأنّني أزجركم ، وبعبارة أخرى أنّه تتمة ، أو جملة مختزلة فيها ، أي : ليس الامر كذلك ، وهذا الزجر ردع للتصور القائم في ذهن المتلقي عن التكاثر ، وحب الدنيا .

وورد التنغيم أيضاً في استعمال حرف العطف (ثم) ، وهو حرف يفيد الترتيب والتراخي ، أي: أنّ هناك مهلة فيه[٥٢] .

واستعملت (ثم) هنا بلحاظ أن القول الثاني أبلغ من الأول ، وهو تنبيه ونصيحة من الله[٥٣].

ويرى الرضيّ أنّها تفيد التدرج في الارتقاء[٥٤] .

وذهب الدكتور فاضل السامرائيّ إلى أنّها جاءت للإيغال في التوكيد[٥٥] وقد سبق البقاعيّ الدكتور السامرائيّ إلى ذلك الكلام [٥٦] ، فأكد الباري ذلك مفخما بحرف التراخي (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا)[٥٧] .

والتهديد برؤية العذاب من أهول العذاب وأشده ، فهو زيادة في التخويف فجيء بهذه الأداة[٥٨].

وقد ورد التنغيم في قوله تعالى : ((لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ)) (٦) .

وهي هنا توضيح للشيء المبهم ، وتعظيم له وتفخيم له ، وهي – هنا – جواب قسم مقدر ، والقسم لتوكيد الوعيد ، وأن ما أوعدوا به لا مدخل فيه للشك[٥٩] .

حصيلة البحث

١ – تبين أنّ جميع فواصل السورة الكريمة جاءت من الأصوات ذات التردد العالي ، وهذا التردد العالي يلائم السياق العام للنص الكريم ، فهو يأتي في خدمة البناء الإقناعي الذي يؤسس له النص .

٢ – واضح أنّ تكرار الراء في نهاية فاصلتي الآية الأولى والثانية أصبح محور ارتكاز ليدعم الحجة ، وهذا له أثره في البنية الصوتية للنص بما تحيله إلى المتلقي من لفت نظر ، وشد الانتباه .

٣ – يبدو أنّ التوازي في الفواصل حقق إنجازا صوتيا تقوى به الدلالة مما له أثر في فاعلية النص .

٤ – اتضح أنّ هذا الشد المؤلف من أصوات المد سواء أكان في وسط السورة أو نهايتها إنّما جاء ليمنح القارئ فرصة التأمل والاتعاظ بما ذكر في هذه السورة الكريمة من تهديد ، ومواعظ ، فهي جاءت تقوي تلك الحجج المذكورة فهي تحيل القارئ إلى الإذعان ، والاقتناع .

لذا جاءت بكثرة في وسط السورة ونهايتها مصحوبة بصوتي المد الواو والنون ، وهذا التشكيل – على ما يبدو – يشير إلى أنّ هذه المواضع هي مواضع تهديد ووعيد ، وتأكيد شيء فلابد أن تكون النهايات حافلة بالطول النسبي الذي يحمل التردد العالي .

٥ – تبين أنّ الابتداء بما بعد (كلا) يدل على أنّه نتيجة لكلام سابق ،أو زجر لتصور سابق وجملة (سوف تعلمون) استئناف للزجر ، وهذا الاستئناف فاصلة بينها وبين الجمل التي بعد (كلا) ، فهي فحوى لكلّا ، وتتمة ، أو جملة مختزلة فيها .

الهوامش

---

[١]ينظر : بصائر ذوي التمييز : ١ / ٥٤٠ .

[٢]ينظر : البحر المحيط : ٨ / ٥٠٥ .

[٣]ينظر : روح المعاني : ٣٠ / ٢٢٣ .

[٤]ينظر : صحيح البخاريّ : ٣ / ٣٣٠ ، والتحرير والتنوير ، ابن عاشور : ٣٠ / ٥١٧ .

[٥]ينظر : بصائر ذوي التمييز : ١ / ٥٤٠ ، والتحرير والتنوير : ٣٠ / ٥١٨ .

[٦]ينظر : نظم الدرر ، البقاعيّ : ٢٢ / ٢٢٥ ، والبرهان في تناسب سور القرآن ، ابن الزبير الثقفيّ : ٢١٧ .

[٧]دلالة الالفاظ ، إبراهيم أنيس : ١٩٧ .

[٨]ينظر : المرجع نفسه : ١٩٥ .

[٩]ينظر : الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، أ . د . سامية الدريديّ : ١٢٧ .

[١٠]ينظر : المرجع نفسه : ١٢٦ – ١٢٨ .

(١١)ينظر : بلاغة الخطاب الإقناعي ، حسن المدون : ١١١ / ١١٢ .

(١٢)ينظر : المرجع نفسه : ١١٢ .

(١٣)إعجاز القرآن ، الباقلانيّ : ٢٧٠ ، والفاصلة في القرآن ، الحسناويّ : ٢٧ .

(١٤)ينظر : فواصل الآيات القرآنية ، د . كمال الدين المرسى : ٨٩ .

(١٥)ينظر : نظرية الحجاج تطبيق على نثر ابن زيدون ،عزيز لدية : ٩٩ .

(١٦)حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيديّ ، د . أميمة صبحي : ٩٢ .

(١٧)ينظر : البرهان ، الزركشيّ : ١ / ٦٧ .

(١٨)ينظر : القضايا التطريزية في القراءات القرآنية ، أحمد البايبيّ : ٢ / ٢٠٨ .

(١٩)ينظر : المرجع نفسه : ٢ / ٢٠٩ .

(٢٠)ينظر : كتاب سيبويه : ٤ / ٤٣٥ ، والمقتضب ، المبرد : ١ / ١٩٦ .

(٢١)ينظر : سر صناعة الأعراب ، ابن جني : ١ : ٦٣ .

(٢٢)ينظر : لغة القرآن في جزء عم ، محمود أحمد نحلة : ٣٤٧ .

(٢٣)ينظر : الكشف والبيان ، الثعلبيّ : ١٠ / ٢٧٦ .

(٢٤)ينظر : الحجاج في الخطاب السياسي : د . عبد القادر قادا : ٢٩٦ .

(٢٥)ينظر : البرهان : ٤ / ١٠ .

(٢٦)ينظر : القضايا التطريزية في القراءات القرآنية : ٢ / ٢٠٩ .

(٢٧)ينظر : المرجع نفسه : ٢ / ٢٠٩ .

(٢٨)ينظر : فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية ، د . السيد خضر : ١٢٤ .

(٢٩)ينظر : البرهان : ١ / ٧٥ – ٧٦ .

(٣٠)ينظر : لغة القرآن في جزء عم : ٣٦٨ .

(٣١)ينظر : الحجاج في الشعر العربي : ١٦٨ .

(٣٢)ينظر : أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، د . مثنى كاظم صادق : ١٥٤ .

(٣٣)ينظر : موسيقى الشعر العربي ، شكري عباد : ١١٠ .

(٣٤)ينظر : التعبير القرآني والدلالة النفسية ، د . عبد الله الجيوسيّ : ١٧٣ – ١٧٤ .

(٣٥)كتاب سيبويه : ٤ / ٤٣٥ – ٤٣٦ .

(٣٦)ينظر : التفسير البسيط : ٢٤ / ٢٧٥ .

(٣٧)ينظر : نظم الدرر : ٢٢ / ٢٢٥ .

(٣٨)ينظر : الكشف والبيان ، الثعلبيّ : ١٠ / ٢٧٦ .

(٣٩)الخصائص ، ابن جني : ٣ / ٢٣٣ – ٢٣٤ .

(٤٠)التشكيل الصوتي ، سلمان العانيّ : ٥١ – ٥٢ .

(٤١)ينظر : على سبيل المثال : تجليات الدلالة الايحائية في الخطاب القرآني ، د . فخرية غريب عبد القادر : ١١٠ .

(٤٢)ينظر : الحجاج في الشعر العربي : ١٦٨ .

(٤٣)ينظر : الحجاج في الشعر العربي : ١٦٨ .

(٤٤)ينظر : المرجع نفسه : ١٦٨ .

(٤٥)ينظر : التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، محمود عكاشة : ٤٩ .

* ورد التنغيم من غير ان يذكر في الآية الثانية ، قال تعالى : ((الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر)) (١ – ٢) ، إذ ورد بالحرف (حتى) فهو هنا انتهاء وغاية ، أي : كانه قال : حتى بلغ الامر بكم إلى هذه إلى هذه الغاية .

والمعروف عن (حتى) أن ما بعدها يأتي لتحقير أو تعظيم أو قوة أو ضعف ينظر : الاصول في النحو ، ابن السراج : ١ /٤٢٧ ، وواضح ان ما بعدها يفيد الضعف بلحاظ أن الأمر بلغ بهم حتى زاروا المقابر ، وهي هنا تدل على نهاية الأمر ، وهذا يدل على الضعف ، أي : استمرت مفآخرتكم ، ومباهلتكم إلى ان زرتم المقابر ، والدفن ، فكنتم فيها عرضة للبعث لا تتمكنون من عمل ما نجيكم ، والتنغيم – ها هنا – ها بط.

(٤٦)ينظر : رصف المباني ، المالقيّ : ٥١ .

(٤٧)ينظر : الكشاف : ٦ / ٤٢٥ .

(٤٨)ينظر : حروف المعاني : ١١ .

(٤٩)ينظر : اسرار التكرار في القرآن ، الكرمانيّ : ٢٥٣ .

(٥٠)ينظر : الكشف والبيان : ١٠ / ٢٧٧ .

(٥١)ينظر : الهداية إلى بلوغ النهاية ، مكي القيسيّ : ١٢ / ٨٤١٦ .

(٥٢)كتاب سيبويه : ١ / ٤٢٩ .

(٥٣)ينظر : أسرار التكرار في القرآن : ٢٥٣ – ٢٥٤ .

(٥٤)ينظر : شرح الرضيّ : ٣٩٠/٤

(٥٥) ينظر : معاني النحو : ٢٠٩/٣

(٥٦)نظم الدرر : ٢٢ / ٢٢٩ .

(٥٧)ينظر : المصدر نفسه : ٢٢ / ٢٣١ .

(٥٨)ينظر : الكشاف : ٦ / ٤٢٥ .

(٥٩)ينظر : المصدر نفسه

ثبت المصادر والمراجع

- أسرار التكرار في القرآن ، الكرمانيّ (ت نحوه ٥٠ هـ) ، تح : عبد القادر أحمد عطا ، دار الفضيلة
- أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية ، د . مثنى كاظم صادق ، كلمة للنشر والتوزيع ، ط١ ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٥ م .
- الأصول في النحو ، أبو بكر بن السراج (ت ٣١٦ هـ) ، تح : د . عبد الحسين الفتليّ ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩ م .
- اعجاز القرآن ، الباقلانيّ (ت ٤٠٣ هـ) ، تح : أحمد صقر ، ط ٣ ، دار المعارف ، مصر ، (د . ت) .
- البحر المحيط ، ابو حيان الاندلسيّ (ت ٧٤٥ هـ) ، تح : عادل أحمد ورفاقه ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠١ م .
- البرهان في تناسب سور القرآن ، أحمد بن ابراهيم الثقفيّ (ت ٧٠٨ هـ) تح : د . سيد الفلاح ، دار ابن الجوزي ، ط ١ ، السعودية ، ١٤٢٨ هـ .
- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشيّ (ت ٧٤٩ هـ) ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، مكتبة دار التراث ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين الفيروز آباديّ (ت ٨١٧ هـ)، تح : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، د . ت .
- بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب ، د . حسن المودن ، كنوز المعرفة ، ط ١ ، الاردن ، ٢٠١١ م .
- التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، د . ط ، تونس ، ١٩٨٤ م .
- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ، د . محمود أحمد عكاشة ، دار النشر للجامعات ، (د . ط) ، مصر ، ٢٠٠٥ م .
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية ، د . سلمان العاني ، النادي الأردني الثقافي ، ط ١ ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٣ م .
- التعبير القرآني والدلالة النفسية ، د . عبد الله الجيوسيّ ، دار الغوثانيّ للدراسات القرآنية ، ط ٢ ، دمشق ، ٢٠٠٧ م .
- التفسير البسيط ، علي بن أحمد الواحديّ (ت ٤٦٨ هـ) ، تح : د . فوزة بنت عبد الله الورثان ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، السعودية ١٤٣٠ هـ .
- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله (ص) وسننه وايامه ، أبو عبد الله البخاريّ (ت ٢٥٦ هـ) ، تح : محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، ط ١ ، القاهرة ، ١٤٠٠ هـ .

- الحجاج في الخطاب السياسي الرسائل السياسة الاندلسية خلال القرن الهجري الخامس انموذجا (دراسة تحليلية) ، د . عبد العالي قادا ، كنوز المعرفة ، ط١ ، عمان ، ٢٠١٥ م .
- الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، أ . د . سامية الدريديّ ، عالم الكتب الحديث ، ط ١ ، اربد ، الاردن ، ٢٠١١ م .
- حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيديّ ،د.أميمة صبحي ، كنوز المعرفة ، ط ١ ، عمان ، الاردن ، ٢٠١٥ م .
- حروف المعاني ، أبو القاسم الزجاجيّ (ت ٣٤٠ هـ) ، تح : علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٦ م .
- الخصائص ، ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، تح : محمد علي النجار ، دار الهدى ، د . ط ، لبنان ، ١٩٥٢ م .
- دلالة الالفاظ ، إبراهيم انيس ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٥ ، مصر ، ١٩٨٤ م .
- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، أحمد بن عبد النور المالقيّ (ت ٧٠٢ هـ) ، تح : أحمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، د . ط ، دمشق ، د . ت .
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود الآلوسيّ (ت ١٢٧٠ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، د . ط ، بيروت ، د . ت .
- سر صناعة الاعراب ، ابن جني ، تح : د . حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٣م.
- شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الاستراباذيّ (ت ٦٨٦ هـ) ، تح : يوسف حسن عمر ، جامعة قاريونس ، تونس ، ١٩٨٧ م .
- الفاصلة في القرآن ، محمد الحسناويّ ، دار عمار للنشر والتوزيع ، ط ٢ ، عمان ، ٢٠٠٠م .
- فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية ، د . السيد خضر ، مكتبة الآداب ، ط ٢ ، القاهرة ، ٢٠٠٩ م .
- فواصل الآيات القرآنية ، د . كمال الدين المرسى ، المكتب الجامعي ، ط ١ ، مصر ، ١٩٩٩ م .
- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط ٣٢ ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .
- القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الأصوات الإيقاعية ، د. أحمد البايبيّ ، عالم الكتب الحديث ، ط ١ ، الاردن ، ٢٠١٢ م .
- كتاب سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) ، تح : عبد السلام هارون ، ط ٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣ م .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل جار الله الزمخشريّ (ت ٥٣٨ هـ) ، تح : عادل أحمد عبد الموجود ورفيقه ، مكتبة العبيكان ، ط١ ، الرياض ، ١٩٩٨ م .
- الكشف والبيان : أبو إسحاق الثعلبيّ (ت ٤٢٧ هـ) ، تح : أبو محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢ م .

- لغة القرآن في جزء عم ، محمود أحمد غلة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨١ م
- معاني النحو ، د . فاضل صالح السامرائيّ ، دار الفكر ، ط ٢ ، عمان ، ٢٠٠٣ م .
- موسيقى الشعر العربي ، شكري عباد ، دار الفكر ، ط٢ ، عمان ، ٢٠٠٣ م .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين البقاعيّ (ت ٨٨٥ هـ) دار الكتاب الاسلامي (د . ط) ، القاهرة ، (د . ت) .
- الهداية إلى بلوغ النهاية ، مكي بن ابي طالب القيسيّ (ت ٤٣٧ هـ) مجموعة رسائل جامعية ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، ط ١ ، الشارقة ، ٢٠٠٨ م .

abstract

want show you the impact of sound in persuading the receiver in Surat reproduction, known as Sura Makiya, fence Meccan mostly adopted a special rhythm when through sounds draw the attention of the receiver to what in this picture of gloss, and from Mulls in this Surah finds may draw system to persuade aims to recipient strain to which the sheen starting from Surat focused at the beginning on the voice of ra as a catalyst to convince with their high qualities made him alert the rights to what in this sura of gloss and across, and eight Sura Other breaks changed change contents, and was the beginning of Sura came from an introduction to give the reader the outcome of a lengthy.

The Sura Other intervals have changed due to the threat of Sura and across, and these intervals combined from the beginning of the sura to an end is characterized by a strong rhythm which raises the attention of the recipient and others.